ضرورة ترجمة الكتب المبسطة للشريعة والفقه والسنة

الدكتور/عبد الفتاح مصطفى غنيمة

أستاذ تاريخ العلوم والتكنولوجيا

كلية الاداب – جامعة المنوفية

- **الإسلام دين عالمي يخاطب الأمم جميعاً**
- **الترجمة ضرورة حتمية**
- **ترجمة بعض الأدب العربي إلى العديد من اللغات**
- **ضرورة ترجمة كتب إسلامية تجد طريقها إلى العقل العربي**
- **الإسلام دين السلام**
- **السلام من أسماء الله الحسنى**

إن العزلة الفكرية بين ما تتضمنه كتب الشريعة والفقه والسنة والتفسير الإسلامي الحنيف والعالم الغربي ، قضية من أخطر قضايانا، وهى من الأهمية بمكان عظيم، تشتد بنا الحاجة إلى معالجتها في وقتنا المعاصر أكثر منها في أي وقت آخر.

فمبادئ الدين الإسلامي وقيمه الروحية ما تزال سجينة العالم الإسلامي الناطق بالعربية. ولم تحظ كتب الشريعة والفقه والسنة باهتمام المستشرقين كما حظى الأدب العربي القديم وتراثنا العلمي، وكلاهما ما يزال في دائرة الاهتمام ويترجم منه إلى الآن، بينما لم يترجم من كتب الشريعة والفقه والسنة إلى اللغات الأجنبية إلا جزء يسير جداً بالنسبة لما ينتج منها ، وعليه فإن الدين الإسلامي بصورة عامة لم يتخط حواجز الجنس والعرق وينتشر على الصعيد العالمي ليشارك الأمم الأخرى بحقيقته، ويجعلها تشعر بالقيم والمبادئ الإسلامية، أو ما يتحتم على كل إنسان مفكر أن يعرف أقل القليل عن حقيقة هذا الدين العالمي. ويعين موقفه منه، فشرائع الدين الإسلامي وآدابه حلقة هامة يمكن أن تحقق الاتصال الفكري بين الأمم والأجناس ببعضها وتمتن الروابط التي من شأنها أن تقرب ما بين الشعوب مهما يكن التباعد عظيماً في الزمان والمكان، فالقيم الإنسانية الأصلية واحدة لا تتغير كالحب والتراحم

والتعاون ونشدان الحرية والأخلاق والعطف على الضعفاء والإحساس بالجمال والنقمة على البغي والظلم. والكتب المبسطة في مجالات الشريعة والفقه والسنة والتفسير.. هي المكون الصالح الذى يثير اهتمام الإنسان بأخيه الإنسان أنى كان.

الإسلام دين عالمي عام يخاطب الأمم جميعاً:

الإسلام دين إنساني عام، أو دين عالمي كما نقول في اصطلاح العصر الحديث، يخاطب الأمم جميعاً فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس أو اللون أو اللغة، فكل إنسان في جوانب الأرض أهل لأن يأوي إلى هذه الأخوة الإنسانية حيث شاء وحين يشاء.

{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ }[1].

{ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ } [2].

هكذا أعلنها القرآن الكريم دعوة عامة منذ ألف وأربعمائة واحد وعشرون سنة، وهكذا أعلنها النبي عليه السلام وخلفاؤه الراشدون وتابعوهم الأبرار في صدر الإسلام، ولم يمض ربع قرن من التاريخ الهجري حتى قامت بينات الواقع على حقيقة هذه الدعوة الإنسانية الإسلامية، فدان بالدين الجديد أناس من جميع الشعوب والسلالات، ولم تنقض على الهجرة ثلاثة قرون حتى كان في عداد المسلمين ساميون وآريون وحاميون وطورانيون، عرب وفرس وترك وهنديون وصينيون وأفريقيون من السود والأثيوبيين.

هذه هي البينة العلمية والبرهان الواقعي على "عمومية" الدين"، وهى بينة ينفرد بها الإسلام بين الأديان السماوية وغير السماوية، وينبغي أن ننظر إليها من وجهتها الصحيحة لنعرف حقاً أنها سمة قد انفرد بها الإسلام.

إن ديناً من الأديان الأخرى لم يكسب أمة ذات كتاب عريقة في الحضارة، وإنما كانت الأديان مقصورة على العصبية القومية، أو على تحويل الوثنيين الذين درجوا على عبادة الأصنام وما يشبه الأصنام من رموز القوى الطبيعية.

---

[1] () سبأ : 28

[2] () النساء : 79

فالموسوية **قصرت دعوتها على العبريين أو اليهود، ولما قام المكابيون ليكرهوا قبائل البادية على قبول الشعائر اليهودية كانت هذه القبائل الوثنية مغرقة في الجهالة، وكان المكابيون يؤمنون بالإله "يهوا" ملكاً تجب له الطاعة على رعاياه، وكانوا من أجل هذا يسمون أمراءهم رؤساء كهان، ولا يسمحون لهم بلقب الملك وشاراته ومراسمه، فإكراه القبائل على قبول سلطان "يهوا" إنما كان عندهم بمثابة الخضوع السياسي الذى يلزم الأجانب والغرباء كما يلزم أبناء الأمة وأهل السلالة.**

والبرهمية **ظلت ديانة قومية عنصرية حتى خرجت منها النحلة البوذية، فنجحت في تحويل الوثنيين إليها في الصين واليابان، ولم تحول إليها قط أمة يجاوزوها إلى عقائد أهل الكتاب.**

أما الإسلام **فقد حول إليه، على خلاف ذلك، أعرق الأمم في الحضارة وفى الإيمان بالعقيدة الكتابية، فأسلمت فارس وأسلمت مصر، وهما على التحقيق أعرق أمم العالم يومئذ في تاريخ الحضارة، وأولاهما كانت تؤمن بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب وغلبة الخير على الشر وخلود الروح، وثانيتهما كانت تدين بالمسيحية وتحمل لواءها في العالم القديم ، ولذا فالإسلام كنموذج إنساني متحضر مرشح لقيادة العالم في ظل انهيار النظم الاجتماعية والأخلاقية والمعنوية وهو خير مثال للقيم والمبادئ.**

هذه السمة العالمية ينفرد بها الإسلام بين جميع الديانات، وهى آية الصلاح لدعوة الأمم جمعاء، سواء منها الأمم القديمة في الحضارة والدين، أو الأمم التي لم تبلغ ببعد مبلغ الارتقاء في التحضر والاعتقاد.

إن هذه الحقيقة خليقة أن تذكر على الخصوص في تاريخنا المعاصر، لأننا سمعنا فيه أناساً من المبشرين يعترفون بغلبة الدعوة الإسلامية في أواسط القارة الأفريقية ويسلمون أنها نجحت حيث لم ينجحوا، وشاعت بغير تبشير حيث يخفقون بعد التبشير بسنوات، ولكنهم يعتذرون لأنفسهم بعذر يقبلونه ولا يقبله الواقع: وهو أن الإسلام بطبيعته قريب المأخذ من طباع "البدائيين" من سلالات القارة السوداء!!! وليس أصلح لتفنيد هذا العذر من تلك الحقائق التي أثبتها التاريخ، أو من تلك السمة التي انفرد بها الإسلام بين الأديان، فدخلت في دعوته أعرق الأمم حضارة بعد خلاصها من الوثنية الأولى عدة قرون، ولم يحصل ذلك قط في تاريخ دين.

وتزداد هذه الحقائق ثبوتاً ووضوحاً، كلما رجعنا إلى تاريخ الدعوة الإسلامية بين البلاد الآسيوية، فإنها لم تعتمد على القتال ولم تعتمد على السيف إلى جانب العدد الذى دان بالإسلام من أهل الهند والصين والملايا، وعدتهم نحو مائتي مليون، وكل ما يرويه التاريخ عن القتال بين المسلمين وغيرهم في تلك الأرجاء فإنما حدث بعد أن أصبح المسلمون معدودين بالملايين، وإنما هو في جميع الأحوال قتال سياسة وليس بقتال إكراه على الدين.

إن الوقائع العلمية هي الشهادة للإسلام بالصبغة الإنسانية العالمية، ولا حاجة بالدين إلى شهادة أخرى متى ثبت له من تاريخه الأول أنه يضم إليه شعوباً من جميع السلالات والعقائد، ومن جميع الأطوار في الحضارة والمعيشة البدائية، وإن كتابه يخاطب الناس كافة، ويوجه الرسالة إلى كل سامع.

هذه الخاصة الإنسانية باقية في صميم الإسلام يواجه بها الحضارة العصرية كما واجه بها حضارات قديمة ووسطى، وهى التي صبغت تلك الحضارات بالصبغة الإسلامية، وهى التي جعلت تاريخ العالم من القرن السادس للميلاد إلى القرن الخامس عشر تاريخ الفكر والحضارة والآداب الإسلامية، ولم ينفصل التاريخان بعد ذلك لأن الإسلام فقد "خاصته" التي لازمته عدة قرون، ولكنهما انفصلا لأن المسلمين تخلفوا عن الركب، وأصبحوا "غير مسلمين" إلا باللقب والعنوان.

الترجمة ضرورة حتمية:

من هذا الباب الواسع باب ضرورة الترجمة لمبادئ الدين الإسلامي بالأسلوب العلمي المعاصر ننطلق بقضايانا حتى نصل إلى وجدان شعوب العالم، فمبادئ أي دين سماوي هي الفن الرفيع الأول وأكثر الآداب الإنسانية ديمقراطية، واقلها اغتراراً وأكثرها شيوعاً، لسهولة التداول وأيسرها على إدراك الشعوب، والقضية التي يجب أن نعالجها هي:

ما هي الكتب المنهجية التي يجب أن نختارها لكى تترجم إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والصينية واليابانية لكى ننطلق برسالة حقيقة الدين الإسلامي إلى الصعيد العالمي...

وهناك شرطان أساسيان لنجاح أثر هذه الترجمة هما: علو الأداء الفني للترجمة والنزعة الإنسانية مع صدق اختيار الألفاظ والعبارات في الترجمة ونجاح ترجمة الكتب الدينية المبسطة كفيلة برواج هذه الكتب، وفى اعتقادي أن التركيز

على أن تكون لغة الترجمة الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرهما ذات الطابع الأدبي البسيط هي من الأمور الهامة في رواج هذه الكتب خارج محيط العالم العربي، ليس لمترجمينا إذا أرادوا للدين الإسلامي ولوج المحيط الإنساني الكبير إلا أن يعالجوا في الدرجة الأولى المفاهيم والقيم والمصادر القيمة أو الكنوز التي يجب أن تصل إلى أيدى الأوروبيين والأمريكيين والصينيين واليابانيين وغيرهم.

مهمة المترجم الأولى هل نقل وتوصيل المعنى والمفهوم إلى الآخرين، وأن يعبر بصدق وإخلاص عن واقع الإسلام، وحلول قضايا ومشاكل الإنسان والمجتمع مهما اختلفت التقاليد والعادات والطقوس. ولابد للمترجم أن ينتج أسلوباً لغوياً أبرز صفاته الصدق الذى يضفى على المعنى الأدبي روعة، ويجعل القارئ يشعر أن الحياة بواقعها بسيطة ويجب أن تعاش، ويتأثر بما يقرأ ويندمج فيه.

وما روائع القيم في الدين الإسلامي كدين عالمي إلا مجموعة متكاملة من الآداب الإنسانية تتفق جميعها بالتعبير عن القيم الإنسانية الأصيلة، بأداء فنى ميزته العمق وجودة النسج مع مراعاة الأطر الخارجية التي تصور أجواء الغرب المختلفة المتباينة. هذه الأجواء الغربية هي التي ستقرأ الكتب الإسلامية بلغاتها وهى التي ستجذب هؤلاء القراء للإطلاع لأن حب الاطلاع غريزة في البشر والآداب الدينية ذات طابع خاص، من شأنها أن ترضى الرغبات الملحة لمعرفة مبادئ الدين الإسلامي منذ نزوله لمعرفة الأحداث التي وقعت على مر العصور خلال فترة الحضارة الإسلامية.

ونحن نعلم أنه خلال القرون الثلاثة الأخيرة من الثامن عشر إلى العشرين لم يترجم من الأدب العربي إلى اللغات الأوروبية إلا القليل المحدود للغاية والفضل يرجع إلى المستشرقين في مختلف بلدان أوروبا، وكانت المعلقات وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وكتب بعض أعلام ميادين الحضارة العربية الإسلامية أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن ماجه وابن طفيل والخوارزمي والرازي وجابر بن حيان وابن الهيثم والبيروني وألبتاني والإدريسي والمسعودي وابن حوقل وابن الوردي والمجريطى وابن بطوطة وأبو القاسم الزهراوي وابن زهر والبغدادي والأنطاكي. وقد ترجمت بأيدي المستشرقين أمثال: سيديو، أوليرى، أدلر، سارتزن، لوبون، باركر، جب، جروينباوم، درابر، جورج يعقوب، دوزى، شستر، هيرمان الدلياشى، جيوم، جنديسالفى، فارمر، جنثالث، خودانجشى، دي جويه، مهرن، مايرهوف، كراتشكوفسكي، دي ملان، شاريونو، كرزويل، بوكوك، دي بور، سخاو، رولندسن، شارل شيفر، زوتنبرج، دي ساسي، رينولد، دومينار...وغيرهم.

وعلى الرغم من ضآلة ما ترجم من هذا التراث. فإنه أحدث تأثيراً مباشراً لدى نفس الميادين العلمية والحضارية في أوروبا إبان عصر النهضة واستطاع هذا التراث العربي القديم أن ينفذ إلى عقول الغربيين، وهذا ما رصدته الدراسات الإحصائية التي قام بها باحثون ينتمون إلى الشرق والغرب على السواء.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها. نشأ اهتمام جديد لدى المستشرقين في الغرب بدراسة الأدب العربي الحديث ودراسة اللغة العربية واللهجات المحلية المعاصرة وكما يكتبها أبناء لغة الضاد اليوم. وقد استتبع هذا ترجمة بعض العمال الأدبية.. بدأت بترجمة مختارات من الشعر العربي الحديث وتحركت بعد ذلك حركة الترجمة نحو الرواية والمسرحية والقصة القصيرة.

والحقيقة أن الذى ترجم من أدبنا الحديث إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والصينية كان يحمل صفة الأدب العالمي وأقول على سبيل المثال لا الحصر، ككتاب الأيام بأجزائه الثلاثة لطه حسين ويوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم وثلاثية نجيب محفوظ وكثير من القصص القصيرة لمحمود تيمور ويوسف إدريس. ولغيرهم ممن نسج على منوالهم.

ولاشك أننا تركنا ترجمة الأدب العربي الحديث إلى اللغات الأوروبية لأفراد من المستشرقين دفعهم الحماس الشخصي إلى النهوض بهذا العبء، وكنت أتصور أننا بقدر ما نترجم لأنفسنا من الآداب والعلوم والفنون الغربية، فإننا مطالبون أيضاً بترجمة مبادئ وقيم الدين الإسلامي المبسط لهم ، ولكن الملاحظ أننا مقصرون في هذا المجال كل التقصير.. اللهم ما تجود به قلة من الأعلام في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والأزهر الشريف تعد على أصابع اليد.. وقد يقال أن صاحب الحاجة هو الذى يسعى إليه، وأنهم عندما احتاجوا مع بداية عصر النهضة إلى التعرف على ميادين الحضارة العربية الإسلامية فإنهم صرفوا عنايتهم لذلك بالقدر الذى تسمح به ظروفهم آنذاك. ولكن هذا التصور قد ينتهى بنا إلى موقف سلبى من القضية كلها، على الرغم مما تنطوي عليه من خطورة، حقاً أنهم لم يترجموا لنا آدابهم وعلومهم وفنونهم إلى لغتنا، وأن المترجمين العرب هم الذين قاموا – ومازالوا يقومون – بهذه المهمة، ولكن الأمر مع ذلك يختلف، فإننا عندما نترجم أفضل الكتب المبسطة في الدين الإسلامي شريعة وفقهاً وسنة، إنما نكون في موقف القادر على الاختيار وعلى انتقاء أروع ما قدمته العقول العربية وأفرزته القرائح وبلغة العصر.. ولكنهم أعنى مترجمي الغربيين إلى العربية أو المستشرقين حين يتصدون اليوم لترجمة بعض الكتب الدينية فإنهم يصدرون عن معرفة محدودة نسبياً بها، ومن ثم فإنهم لا يستطيعون اختيار أفضل ما يترجمونه إلى لغاتهم، حيث تضيق

أمامهم دائرة الاختيار. فإذا هم يختارون للترجمة أعمالاً ربما لا تكن هي أروع أو أهم ما صدر عن مشرعي وفقهاء المسلمين.

من أجل هذا أنادى بضرورة الاتجاه إلى ترجمة كتب مختارة عن طريق لجان علمية متخصصة، ذلك أن مشكلة الاختيار، أعنى اختيار ما يستحق أن يترجم، إذ ينبغي أن يراعى أن تكون الكتب الدينية المختارة للترجمة قادرة على أن تجد طريقها إلى عقل القارئ الغربي، وأن تثير فيه الدهشة، وأن تأتلف مع منطقه في إدراك الأمور وتقديرها، وأن تكشف له عن آفاق جديدة من الرؤية الروحانية تثير فيه الاهتمام. لذلك ينبغي ألا تخضع عملية اختيار ما يترجم من العربية لآراء فردية، وينبغي أن تخضع لدراسة جيدة، تأخذ في الاعتبار طبيعة العقلية الغربية ومنطقها، وما يمكن أن يكون عامل جذب لها وتأثير فيها.

وليس معنى هذا بطبيعة الحال أن نصدر للغرب ما يرضى غرورهم، وإنما المقصود أن نقدم إليهم ما يجدون أنفسهم ملزمين باحترامه والتفكير فيه.

وأنه لمما يدعو إلى التفاؤل أن كثيراً من أبناء الوطن العربي المشتغلين بمختلف فروع المعرفة البشرية الذين يقيمون في بلدان أوروبا وأمريكا، قد التفتوا مؤخراً إلى أهمية ترجمة خلاصة ما يتضمنه الدين الإسلامي الحنيف من مبادئ وأسس وقيم..

وقد يقال أن هناك أكثر من صعوبة تواجه المترجم العربي، ولكن أهون هذه الصعوبات هي معرفته باللغة التي يترجم إليها، ففي أبناء العربية من يتقنون هذه اللغات كأبنائها، ثم تأتى صعوبة نشر هذه الترجمات في العالم الغربي نفسه، إذ ما قيمة أن يترجم العمل إلى لغة أجنبية ثم لا يعرف طريقة إلى القارئ الأجنبي؟؟ لكن بعض التجارب الفردية المحدودة أثبتت أن الناشر الأجنبي قد أصبح اليوم أكثر استعداداً منه بالأمس لنشر مثل هذه الترجمات، بعد أن ثبت – بالقليل مما نشر – أنها قادرة على أن تلقى القبول من القارئ الأجنبي.

ولا مانع إطلاقاً في سبيل رواج هذه الفكرة أن تقوم الأجهزة المعنية بإهداء الكتب المختارة إلى معاهد الاستشراق ومدارس اللغات الشرقية وإلى المستشرقين أنفسهم، والكتابة إليهم والسعي إلى التعرف بهم، والاشتراك في المؤتمرات العالمية لدراسة الأديان المقارنة للاحتكاك بالعلماء المهتمين من أي بلد كانوا، فالعلاقات الشخصية لها تأثير كبير أيضاً وتساعد على تخطى الحواجز التي تحول دون انتشار الدين الإسلامي على الصعيد العالمي... والله ولى التوفيق.

الإسلام دين السلام :

ينشد الإسلام السلام في علاقات الناس بعضهم ببعض سواء أكانوا حكاماً أم محكومين ، وإنك لواجد السلام يتردد كثيراً في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وقد شرع السلام ليكون ركيزة لعلاقة الإنسان بأخويه الإنسان ، واساساً لعلاقة الفرد بالجماعة ، وفي علاقة الجماعة بالفرد ، وعلاقة الجماعة بالجماعة ، وجاء السلام ليكون السبيل الذي تسير به الدول ، وتتعامل مع غيرها تحت راية السلام .

وحتى يعم السلام العالم أجمع في النهاية يحرص الإسلام على سلامة الضمير وسلام البيت وسلام الشعوب .

ويخطئ من يظن أن الإسلام يقصر السلام ومعناه على تجنب ويلات الحروب فحسب فهذه ناحية واحدة من نواح كثيرة وهدف واحد من أهدافه المتعددة .

ولننظر للفظة السلام وهي تتردد في القرآن الكريم ، كتاب السلام في دين السلام .

ما أجمل أن يشيع الرضا في القلوب والاطمئنان في الضمائر عندما نقرأ عن ليلة القدر : { سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ }([3]) .

لقد فاض لسلام بتلك الفرحة الوضيئة التي رقت بها الملائكة ، وانطلقت بالبشرى من الملأ الأعلى ، فأسبغت السلام الذي فاض من روح الله على الحياة الإنسانية بما تنزل فيها من قرآن يحقه ملك كريم { ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ٢٠ }([4]) .

وإذا تتبعنا السلام ، باحثين عمن يحملون السلام ويبشرون الناس بالسلام ، ويضفون على الحياة أسباب السلام ، إذا بحثنا عنهم وجدنا أنهم المصطفون الأخيار من رسل الله الكرام الذين يحوطهم ربهم بالسلام وعلى رأسهم خيرهم رسول الله ρ .

الإسلام لا يريد السلام لفظاً تلوكه الألسن ، ولكنه يريد السلام معنى تنفعل به قلوب المؤمنين به ، الذين يطمئنهم رسولهم بالسلام .

---

[3] () القدر : 5

[4] () التكوير : 20

{ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤ }([5]). ، والسلام يرد به المؤمنون سفه السفهاء وضراوة الجهلاء : { وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ }([6]) .

فقولهم هذا قول فيه سلامتهم ، وهو ما يحميهم من جهالة أعدائهم ، وطغيان خصومهم ، فالمتذرع بالسلام من المؤمنين يعرض عما قد يناله من ألفاظ نابية أو اعتداء من حقير ، فلا يتنزل إلى حماقة الحمقى وجهل الدهماء .

حدث أن أرسل النجاشي وفداً للرسول ρ يتبين ما يدعو إليه وينقل إلى النجاشي أصول دعوته ، ولما التقوا بالرسول ρ ودعاهم للإسلام بعد أن عرضه عليهم أجابوا وآمنوا .

وتلقاهم أبو جهل فجابههم باللفظ النابي والمنطق الجارح والكلام القاسي ، فقال " بئس طليعة القوم أنتم لقومكم ، ما إن جلستم إلى الرجل ساعة حتى استجبتم لما يدعوكم وتركتم دين قومكم فقالوا : { وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥ }([7]) وبذلك نزلت الآية من سورة القصص ، فما أعظم سلام النفوس الذي يردع المعتدي ويرد المتعدي ، ويحفظ على الآخرين كرامتهم ويصون لهم شرفهم.

السلام من أسماء الله الحسنى :

ولأن السلام في العقيدة الإسلامية من أسماء الله الحسنى ، فالله Y هو السلام الذي جعل اسمه تحية عبادة ، فشرع للمسلمين أن يحيوا أنفسهم بالسلام :{ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ

[5]() الأنعام : 54
[6]() الفرقان : 63
[7]() القصص : 55

أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٦١ }([8]) وأول ما دخل الرسول ρ المدينة مهاجراً أمر المسلمين بالسلام فقال : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» .

ومما يلفتنا للسلام أنه تحية المؤمنين في الجنة ويا لها من تحية مباركة : { دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٠ }([9]) .

فيملأ السلام أسماع أهل الجنة ويملك عليهم أنفسهم يدغدغ أسماعهم يضاعف نشوتهم ، يسمو بأرواحهم وكيف لا ولفظ السلام ينبعث من الملائكة تحييهم به وتكرمهم بما قدموا من عمل صالح في دنياهم ، فيجدون لصداه لذة ولوقعه حلاوة : { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ٢٦ }([10]) .

أينما تلفتوا وجدوا الترحاب ، وحيثما حلوا سمعوا التحايا بالسلام جزاء ما قدموا في دنياهم ، ولقاء ما صبروا :{ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٤ }([11]) علاوة على الاستقبال الذي نعموا به يوم قدموا جنة النعيم عندما شنف الآذان صوت من الملأ الأعلى { ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ }([12])وكذلك { ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ٣٤ }([13]).

وما أروع وأعظم عندما يكون آخر عهد الإنسان بالدنيا وأول عهده بالآخرة حينما يجد العون من الملائكة ، يحمل سلامهم الطمأنينة لقلبه ، والسكينة لنفسه والدعة لروحه :{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢ }([14]) فلا يخشى بأساً ، ولا يحس فزعاً ، ولا يرهب لقاء الموت فقد اكتنفه السلام .

---

[8]() النور : 61
[9]() يونس : 10
[10]() الواقعة : 25 ،26
[11]() الرعد : 23،24
[12]() الحجر : 46
[13]() ق : 34
[14]() النحل : 32

ومن منا لا يهتز فؤاده طرباً ، وتتشوف نفسه إلى هذا الوعد الكريم من رب رحيم في قوله عن المؤمنين { ۞لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧ }([15]) إنها الجنة وما أكرمها من دار اختار لها ربنا أن تكون دار سلام.

من هذا كله نرى أن السلام ليس شعاراً أجوف يرفعه المزيفون لستروا به زيفهم ويحجبوا به باطلهم ، إنما السلام للمؤمن دثار يعيش به وعقيدة يعتنقها وشريعة يسير بمقتضاها ، ليحقق باسم السلام في معترك الحياة ما يأمر به الدين من خير وبر ورفق وعفو وعمل وعبادة ، فالسلام منبعه القلب السليم ، والضمير الحي والإيمان بالله السلام .

{ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ }([16]) .

وفي إقبالنا على السلام وحبنا له وتمسكنا به إنما نستشعر طاعة الله في نشر الدين وتنفيذ أمر ربنا في إشاعة السلام ، فاللهم أنت السلام ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام.

[15]() الأنعام : 127
[16]() الأنعام 162-163